مجلة التاريخ المتوسطي. المجلد 06، العدد 02. شهر ديسمبر 2024. ص: 421 - 440
P-ISSN: 2716-764X, E-ISSN: 2716-7747

ت. الإرسال: 15 – 10 - 2024	ت. القبول: 13 – 11 - 2024	ت. النشر: 30 – 12 - 2024

القاعدة الإسماعيلية بإيكجان : بين مؤهلات الاستقطاب ومضمرات الهجران

The Ismāʿīlī base in Ikjān: Between the qualifications of attraction and the implications of abandonment

بن النية رضا

جامعة محمد لمين دباغين ـ سطيف 2 ـ الجزائر

r.bennia@univ-setif2.dz

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في إحدى الغوامض التي تكتنف الوجود الشيعي الإسماعيلي في المغرب الأوسط التي لم تنل حظها الكافي من البحث، وتهدف إلى تقصي مختلف الظروف التي أحاطت بقرار الشيعة الإسماعيلية نقل عاصمتهم الروحية من إيكجان إلى رقادة بإفريقية، والبحث عن أسباب التهميش التي طالت معقلهم الأوّل، من خلال تسليط الضوء على أبرز المؤهلات التي أغرتهم على اتخاذ إيكجان قاعدة لهم أثناء مرحلة الدعوة، ثمّ معالجة دواعي انقلابهم عليها بعد نجاحهم في هزم الأغالبة وإسقاط دولتهم، وخلفيات القطيعة النهائية معها، وفق مقاربة منهجية جمعت بين الوصف والاستقراء مسنودا بالتحليل بما يتناسب مع هذا الصنف من المواضيع، وخلصنا إلى أن عامل امتلاك المؤهلات كان له دور الحسم في القضية المدروسة، فعندما امتلكت إيكجان مقومات نجاح المشروع الشيعي السياسي الإسماعيلي أُتخذت قاعدة للدعوة الإسماعيلية، وبعد قيام الدولة الفاطمية تعاظمت رهانات خلفائها، مما أوجب البحث عن فضاء يمتلك المؤهلات التي تتناسب مع هذا الواقع الجديد.

الكلمات المفتاحية: الشيعة الإسماعيلية ـ إيكجان ـ المغرب الأوسط ـ الفاطميون.

Abstract:

This study examines one of the mysteries surrounding the Ismāʿīlī Shīʿīte presence in the central Maghreb that has not received its due share of research. It aims to investigate the circumstances surrounding the Ismāʿīlī Shīʿītes transfer of their capital from Ikjān to Raqqāda, by stating the most prominent qualifications that tempted them to make Ikjān their base during the daʿwa phase, then addressing the reasons for their revolt against it after their success in defeating the Aghlabids, and the backgrounds of the final break with it, according to a methodological approach that combined description and induction supported by analysis in a manner that is consistent with this type of topic. We concluded that the factor of possessing qualifications played a decisive role in the case under study. When Ikjān possessed the elements for the success of the Ismāʿīlī political project, it was adopted as a base for daʿwa. After the establishment of the state, the Fātimids' stakes increased, which necessitated the search for a space that possessed the qualifications that were consistent with this new reality.

Keywords: Ismāʿīlī Shīʿītes - Ikjān - Central Maghreb - Fātimids.

المؤلف المرسل : رضا بن النية، **الإيميل : ridhabennia19@gmail.com**

مقدمة:

يكتنف تاريخ مجال إيكجان وأحوازه قبل النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي كثير من الغموض، مما يعني أنّه لم يكن ذا شأن قبل هذا التاريخ، فيما خلا ما أشار إليه بعض الباحثين (حسن،1958 : 48 – 49) من أنّه كان إحدى نقاط تجمّع ركب الحجاج المغاربة والأندلسيين، الذي يبقى بحاجة إلى سند مصدري يعضده.

وقد بدأ بزوغ نجم قرية إيكجان بعد اتصال أهلها من بني سكتان بالداعية أبي عبد الله الشيعي، الذي وصل إلى بلادهم في منتصف شهر ربيع الأول من عام 280 هـ/893م، فصارت بذلك مقرا للدعوة الإسماعيلية في المنطقة، وقصدها الأتباع من مختلف الجهات، فاشتهر ذكرها، وتعاظم شأنها، وهو ما أثار حفيظة كبار رؤوس كتامة الذين لم ينخرطوا في الدعوة، فتحالفوا مع أمراء المدن المجاورة، وكادوا للداعي، وتآمروا عليه، حتى اضطروه إلى مغادرتها[1] نحو تازروت (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 47 – 86).

لم تزد نقلة الإسماعيلية إلى تازروت التي اتخذوها دار هجرة لهم إلاّ قوة، فقد عزّ جانب الداعي، والتف حوله الأتباع، وتحول لأوّل مرة من موضع الدفاع إلى موقع الهجوم؛ لاسيما بعد نجاحه في فك الحصار الذي ضربه عليه أعداؤه فيها، واستطاع بعد صراع مرير إخضاع قبائل كتامة المعارضة، وهزم أمراء المدن المجاورة، واضطرت انتصاراته المتلاحقة الأغالبة إلى التدخّل، فأوفدوا إلى المنطقة جيشا كبيرا سنة 289 هـ/901 م بقيادة أبي حوال، الذي ألحق عدة هزائم بأنصار الدعوة الإسماعيلية، وكانت أبرز نتيجة أسفرت عنها هذه الجولة من الصراع، أن خُرّبت دار الهجرة بتازروت، واضطرار الداعي تحت ملاحقة الأغالبة إلى العودة مجددا إلى قاعدته الأولى بإيكجان، التي حالت الثلوج الكثيفة التي شهدتها المنطقة خلال هذه الفترة دون وصول أبي حوال إليها (المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1996 : 58/1).

بعد تحوّل الإسماعيلية إلى إيكجان اتخذوها دار هجرة، وأضحت المركز الرئيس للدعوة، ومنطلق جيوشها التي تمكنت من هزم الأعداء، وإسقاط حواضرهم ومدنهم الواحدة تلو الأخرى، وبالرغم من أنّ أبا عبد الله الداعي لم يغادرها حتى الإعلان عن قيام الخلافة الفاطمية في 20 ربيع الثاني 297هـ/ 909م، إلاّ أنّه لم يعد إليها ولا خلفاؤه من بعدها أبدا، بعد ستة عشر سنة من النشاط الدعوي والعسكري المكثّف (الداعي إدريس، عيون الأخبار، 1985 : 167).

وتكمن **أهمية** هذه الدراسة في أصالة الموضوع الذي تتناوله، كونها تسعى إلى إماطة اللثام عن جانب من التاريخ المسكوت عنه حول الوجود الشيعي الإسماعيلي بالمغرب الأوسط، عبر محاولة الكشف عن بعض ملامح السياسة الإسماعيلية المصلحية ـ التَستُرية التي سلكوها مع المغاربة في سبيل تحقيق مرامهم المذهبية والسياسية، من خلال تقفي تبلور نظرتهم إلى أمّ قواعدهم بالمنطقة ـ إيكجان ـ، ورصد التقلّبات التي طرأت عليها تحت تأثير المتغيّرات التي فرضتها الساحة السياسية والعسكرية.

وعلى أهمية هذه الجزئية من تاريخ الوجود الإسماعيلي في المغرب الأوسط بيد أنّ اعتناء **الدراسات السابقة** بها كان بشكل عابر ومحدود، ولعل أكثرها تقاطعا مع موضوعنا بحث موسى لقبال

[1]. امتدت الإقامة الأولى لأبي عبد الله الداعي بإيكجان ما بين سنتي 280 ـ 287 هـ/ 893 – 900م. تتبع أبرز أنشطة الدعوة الإسماعيلية خلالها عند (الداعي إدريس، عيون الأخبار، 1985 : 88 – 98)

حول «دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية : منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري»، الذي أجاد في رسم الخصائص البيئية والبشرية وحتى الأنثروبولوجية لحقل الدراسة، مستفيدا من زياراته الميدانية إليه، حيث خلص إلى كثير من المعطيات التي غابت عن نصوص مصادر المرحلة، بيد أنّه لم يستثمرها في الحفر عن عوامل الانتقال الإسماعيلي بالدعوة إلى إفريقية وتأثيراته المحلية، التي لم يتعدَ تناوله لها حدود إعادة سوق ما أوردته المصادر الإخبارية بهذا الشأن، (لقبال، 1979 : 152 – 160،325)، على عكس علاوة عمارة في دراسته الموسومة بـ «الفاطميون والمغرب الأوسط : التوجّه الساحلي للسلالة الحاكمة وأنماط الحكم في المجالات» ، الذي كان أكثر عمقا في طرحه ضمن سياق مرافعته على أن «دار الهجرة» هي فكرة اخترعها الإسماعيلية «لإضفاء الشرعية على القرار الذي اتخذه الإمام المهدي بنقل مركز الدعوة إلى رقادة »، وتأكيده على أنّ هذه النقلة استلزمتها المتغيرات السياسية التي شهدتها المنطقة، وظهور رهانات جديدة للفاطميين ضمن مخطط العودة إلى المشرق وحكم العالم الإسلامي منه (عمارة، الفاطميون، 2021 : 34- 64)، وهي الرؤية التي تتقاطع مع بحثنا هذا، الذي قدّم بدوره بعض الحفريات الجديدة حول ظرفيات التوجّه الشرقي للدعوة الإسماعيلية، وبعض أسرار إعدامهم لمعقلهم الروحي بإيكجان عبر التحجيم التدريجي لحضوره.

وتبحث إشكالية الموضوع في نقيضين تمحور أولهما حول خلفيات اختيار الإسماعيلية لمجال إيكجان مستقرا لنشاط صاحب البذر، ويسبر ثانيهما أغوار الهجران النهائي لها بعد نجاحهم في اعتلاء السلطة، عبر إثارة جملة من التساؤلات الفرعية، أهمها : ما هي أبرز المقدّرات والخصائص التي استقطبت الدعاة الإسماعيلية إلى موضع إيكجان في عمقه الكتامي ؟، وكيف استطاعوا تسخيرها لدعم تحالفهم مع قبيلة كتامة من أجل الإطاحة بدولة الأغالبة ؟، وما هي الخلفيات التي أدت إلى سرعة هجرهم لإيكجان عقب نجاحهم في تحقيق هذا الهدف ؟، وما سرّ القطيعة النهائية معها ـ رغم رمزيتها الروحية ـ بعد استقرارهم في إفريقية ؟

ويستلزم طرق مثل هذا الصنف من المواضيع اعتماد **مقاربة منهجية** مبنية على الوصف لإظهار حجم المؤهلات التي تحوز عليها قاعدة إيكجان، والمعالجة الاستقرائية للنّصوص المصدرية القائمة على التقصي والتركيب والتحليل، مع الاستعانة بالمقارنة في أحيان أخرى، من أجل تشريح الظرفيات المختلفة التي أحاطت بحدث الانتقال الإسماعيلي.

وعلى تعدّد **المظان المصدرية** التي تناقلت مسار النشاط الإسماعيلي ببلاد المغرب، وتنوع مرجعياتها السياسية والمذهبية، بيد أنّ أخبارها حول موضوع الدراسة اتّسمت بالشحّ، والاقتضاب، وعمومية الخبر، كما اكتنفها الغموض وعدم الوضوح، لاسيما في ظل اعتماد معظمها على رواية مؤرخ الفاطميين القاضي النعمان (ت 363 هـ/ 974 م) في مؤلَّفه «افتتاح الدعوة» ، الذي تولى فيه نهج إعادة بناء الذاكرة الإسماعيلية بما يتماهى مع السمعة التي صارت تحظى بها والمنجزات التي حققتها. وبالرغم من أهمية الحوار الذي دار بين الحجّاج الكتاميين وأبي عبد الله الداعي في كشف بعض الملامح البيئية والسياسية والذهنية لمجال إيكجان، غير أنّ تعمّده تصدير فكرة أن اختيار الإسماعيلية لإيكجان كان

عفويا، نافيا معرفتهم المسبقة بها، قد فوّت علينا الكثير من المعطيات حول خلفيات هذا الاختيار، وعلى نهجه سار من نقل عنه بصورة كلية على غرار الداعي إدريس (ت 872 هـ/1467م) في «عيون الأخبار»، أو جزئية كالنويري (ت 732 هـ/1332م) في «نهاية الأرب»، والمقريزي (845 هـ/ 1442م) في «اتعاظ الحنفا». ويزداد الأمر تعقيدا إذا ما ولّينا عنايتنا قِبَل شق خلفيات الهجران الإسماعيلي لإيكجان الذي تسكت المصادر عنه تماما، إذ لم يتجاوز خبرها عنه حدود تكرار ما أورده القاضي النعمان، من تأكيد نزول عبيد الله المهدي بقاعدة دعوته، واتخاذه قرار الانتقال إلى رقادة في جملة من الإجراءات الأخرى، دون استفاضة في الكشف عن مضمراته، وبيان المواقف منه، وتداعياته.

1. إيكجان :

1.1. الموقع :

يشغل مجال إيكجان موضعا وسطا عند ملتقى الحدود الإدارية لثلاث ولايات جزائرية حالية كانت أراضيها مسرحا للنشاط الدعوي الإسماعيلي قبل أن يمتد إلى الآفاق، إذ يبعد من جهة الشرق عن مدينة ميلة التي كان يتبع لها إداريا ـ ولو صوريا ـ على عهد الأغالبة بنحو 75 كم، وتفصله عن مدينة سطيف ـ التي يتبعها حاليا ـ من جهة الجنوب الغربي بحوالي 65 كم، وإلى الشمال منه تقع جيجل أكبر مواطن قبيلة جيملة الكبرى التي احتضنت الدعوة في بدايتها، وتبعد عنه بمسافة 89 كم.

وتوجد خرائب إيكجان على بعد 2 كم شمال شرق بلدية بني عزيز[2] الواقعة على ارتفاع 983م فوق مستوى سطح البحر (لعرابة، 2015 : 33)، في الحي المعروف اليوم بـ« لحجار»، وتنحصر إحداثيات معالم موقعها الأثري التي ضبطها الخبراء على ضوء ما بقي ماثلا من شواهد على السطح، ما بين درجتي 357 ـ 356 شمال/ جنوب و766 ـ 769 شرق/ غرب (عقاب ويحياوي، 2000 : 8 – 16).

2.1. أصل التسمية :

يطرح اسم «إيكجان»[3] عدة إشكاليات على مستوى أصل هذه التسمية وصيغة نطقها، وسنكتفي في هذا الموضع بعرض المعطيات التي تتناغم مع روح الدراسة التي نحن بصددها :

1.2.1. الأصل :

لابد من التأكيد في البداية على أنّنا نفتقد إلى أية أدلة مصدرية أو شواهد أثرية دامغة ترجّح أصلا بعينه لاسم هذا الموضع، وما سيق في هذا الشأن لا يتعدى مجرد افتراضات قد تُنسف بالكلية إذا ما تمّ العثور على قرائن مادية حولها، ولعلّ أقدم ما وصلنا في هذا المقام وأشهره هو الافتراض الذي طرحه المستشرق الفرنسي جورج مارسيه Georges Marçais (1876 ـ 1962م)، الذي ربطه باللفظ الأمازيغي

---

[2]. أشار لويس ماسينيون L.Massignon إلى وجود موضع آخر يعرف بـ«إيكجان» بالقرب من سيدي عيش غرب بجاية، ويبدو أنّه ذات الموضع الذي أشار إليه موسى لقبال بـ «فج تقدنت » أو «فج تقجنت». (لقبال، 1979 : 153، -60 L. Massignon,1955 : 112).

[3]. عُرفت بين السكان بـ «الخربة»، وعند البعض بـ«خربة الكلاب»، وهو الاسم الذي تطلقه العامة عادة على المناطق الأثرية، كما تعرف لدى فريق ثالث باسمها القديم مع بعض التحريف «إيكجن». (لقبال، 1979 : 155).

"إيقجان" الذي يعني "كلاب"، وواحده «أقجون» أي «كلب» (غوتييه، 2010 : 184، Ibn Hammad, Histoire des Rois, 1927 : 19)، وأمام عدم وجود مقترحات منافسة كاد هذا الطرح أن يتحول إلى مسلّمة لا تقبل النقد، وإليه مال العديد من المستشرقين (Canard, 1952 : 270 - 329 . Ibn Hammad, Histoire des Rois, 1927 : 19)، وكثير من الباحثين المغاربيين (لقبال، 1979 : 158، طويل، 2011 : 229).

إنّ إخضاع هذا الافتراض لمعطيات ذاكرة المجال وموروثه الألسني يجعلنا نتساءل عن المصدر الذي استقى منه مارسيه هذه المعلومة، ذلك أنّ سكان المنطقة ـ وأنا من أهل أحوازها ـ خلال بداية نشاطه العلمي لم يكونوا يتكلمون الأمازيغية، ولما كان الأمر كذلك فإنّ المنطق يفرض علينا أن نبحث عن أصل هذه الكلمة في لهجة أهل أقرب مجال إلى إيكجان مازال يتحدث الأمازيغية ممثلا في سكان جبل بابور الذين يسمّون الكلب «أيذي» وجمعه «إيطان»، أما لفظ «أقجون» فيستخدم بشكل أوسع في بلاد جرجرة الأبعد نسبيا، فكيف ربط إذا جورج مارسيه تسمية إيكجان[4] بلفظ غير شائع بين أهل هذا الموضع ؟

ولئن كان يحسب لجورج مارسيه انتباهه إلى إمكانية أن يكون اسم إيكجان من أصل أمازيغي، إلاّ أنّه على ما يبدو فاته أن يضع اعتبارا لبعض الفوارق في الألفاظ والعبارات الموجودة بين اللهجات الأمازيغية، وتبعا إلى هذا المعطى فإنّ افتراض ربط اسم إيكجان باللفظ الأمازيغي «إيقجان» أضحى على المحك، مما يستلزم مراجعة فورية وتنقيبا أعمق في أصل اشتقاقه، لاسيما إذا ما علمنا بأنّ هناك موضعا في أعالي جبل بابور غير بعيد من موقع الجوادة يعرف «بتالة إيكجين» أو «تالة إيڤجين»، وبالرغم من التقاطع الكبير بين لفظتي «إيكجان» و«إيكجين»، بيد أنّ من تواصلنا معهم من أهل المنطقة أكدوا جهلهم بأصل هذه التسمية، رغم كونها هي الأخرى أقرب إلى ربطها أيضا وفق ما عمد إليه مارسيه باللفظ الأمازيغي «أقجون»، مع التأكيد مرة أخرى على أنّه يعرف محليا عند هؤلاء الأقوام بـ «أيذي»، كل هذا يجعل افتراض جورج مارسيه المشار إليه محل ريبة واضحة (بن النية، 2019 : 162- 207).

2.2.1. رسم اللفظ وصيغة نطقه:

على الرغم من أنّ معظم المصادر التاريخية والرحلية التي أشارت إلى إيكجان أوردتها بصيغة «الكاف» في رسم حرفها الثالث، إلاّ أنّ العديد من المشتغلين بحقل الآثار يصرّون على أن رسمه بـ «القاف»، وتنطق بصوت وسط بين «الكاف» و«القاف»[5]، ويظهر أن منشأ ذلك هو تسليمهم بطرح جورج مارسيه حول ارتباط هذه التسمية بلفظ «إيقجان»، بيد أنّه وتبعا للتحفظات التي أبديناها بشأن

---

[4]. كتبت سمية الحمداني عند إشارتها إلى استقرار أبي عبد الله الداعي بـ «إيكجان *Ikjān* » في الهامش: أو بدلا من ذلك «إفكان *Ifkān*»، إلاّ أنّها لم تقدم تفاصيل عن أوجه الصلة بين المصطلحين غير ما يظهر عليهما من اشتراك لفظي وتشابه في الوزن الذي رسما به. (Hamdani, 2006 :146)

[5]. أما في الرسم اللاتيني لهذا اللفظ نجد أن البعض يكتب «*Icdjān* » بدلا من « *Ikdjān* » (أو *Ikjān*) الذي يميل إليه غالبية الباحثين، أي بقلب حرف "K" إلى حرف "**C**". (Edrisi, Description de l'Afrique**,** 1866 : 105)

صحة هذا الافتراض يبقى الأحوط ـ على ضوء ما هو متوافر من نصوص ـ أن نعتمد على الرسم الذي تتفق حوله المصادر وهو إيكجان بـ «الكاف»، لاسيما وأنّ من أصحابها من عايش فترة بروز هذه القاعدة على غرار ابن الهيثم (ابن الهيثم، المناظرات، 2001 : 119) والقاضي النعمان (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 47)، وبعضهم من أصيلي هذه البلاد (المغرب) ولا تخفى عليهم صيغة نطقها من مثل الإدريسي (الإدريسي، نزهة المشتاق، 1994 : 269/1، Edrisi, Description de l'Afrique, 1866 : 105)، وبخاصة ابن حماد الصنهاجي (ابن حماد، أخبار ملوك بني عبيد، د.ت : 37)، مع وجوب مراعاة بعض التحريفات التي طالتها لدى البعض، على غرار « إنكجان» عند (ابن الأثير، الكامل، 1987 : 451/6، ابن خلدون، العبر، 2000 : 42/4) و«إيكجا» عند (المقدسي، احسن التقاسيم، 1906 : 218).

3.1. سكان إيكجان :

لا خلاف بين المصادر بأنّ قرية إيكجان كان يقطنها أثناء مرحلة الدعوة الإسماعيلية بنو سكتان[6]، وهم إحدى فروع قبيلة جيملة الكبرى التي تنحدر من ولد يناوة بن غرسن بن كتام (ابن خلدون، العبر، 2000 : 6/ 195 – 196).

إنّ تقفي آثار هذا القبيل اليوم بموضع إيكجان وأحوازه يكشف أنّ هذه التسمية لم تعد متداولة بين السكان بالصيغة التي أوردتها المصادر الوسيطة، وإنّما وجدت أسماء أخرى تتقاطع معها في رسمها مع بعض التحريف، ومنها:

- **بنو سكفان :** هو المنطوق الأمازيغي لتسمية «بني سكتان» على ما يشير إليه سفيان عبد اللطيف (عبد اللطيف، 2019 : 514)، بقلب «التاء» إلى «فاء»، ويطلق هذا الاسم اليوم على قوم يعيشون في سفح جبل سيدي ميمون، غير بعيد عن موضع إيكجان (لقبال، 1979 : 157)، وهو ما يزيد من احتمالية كونهم من بقايا بني سكتان الذين كانوا يضربون في هذا المكان أثناء مرحلة الدعوة الإسماعيلية في المنطقة.
- **بنو سكفال :** تختلف هذه التسمية عن سابقتها في وجهين، أولهما أنّ التحريف الذي طالها مس حرفين هما «التاء» و«النون»، اللذان قلبا إلى «فاء» و«لام» لتصبح التسمية «بني سكفال»[7]، والآخر هو البعد النسبي عن إيكجان مقارنة بالموضع الأوّل، إلاّ أنّه لا يخرج من مجال الأحواز القريب من قاعدة الدعوة، وممن عرف بها:

– أحد أعراش منطقة جيجل الضاربة إلى الغرب من موضع إيكجان في جوار بني فوغال ,Carette (Warnier et 1846)، وإلى الجنوب منهم توطن بنو زنداي الذي أشار إليهم الإدريسي (الإدريسي،

[6]. وردت هذه التسمية بصيغة محرفة في بعض المصادر المشرقية، فقد أسمى ابن الأثير ساكنة هذا المجال بـ « بني سليان»، أما المقريزي فعرّفهم بـ «بني سليمان». (ابن الأثير، الكامل، 1987 : 451/6، المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1996 : 56/1).

[7]. يستخدم هذا المصطلح في الأمازيغية للتدليل على «استخراج ما دفن تحت الأرض». (عبد اللطيف، 2019 : 514)

نزهة المشتاق، 1994 : 267/1)، وأدرجهم البعض ضمن القبائل المنضوية في كونفدرالية العوانة (Rinn, 1898 : 290 - 309).

- قوم يضربون في سفح جبال الحلفاء في موضع يتبع إداريا إلى بلدية معاوية بولاية سطيف، شرق إيكجان في مقابل جبل سيدي ميمون الذي أنشأ أبو عبد الداعي قلعته في أحد منحدراته[8].
- فرع يحمل نفس التسمية سكن قرب حمام دباغ بقالمة (عبد اللطيف، 2019 : 514)، والراجح أنهم انتقلوا إليها في الفترة الحديثة رفقة العديد من بطون وفروع قبائل مناطق ميلة وجيجل وسطيف التي توطنت في تلك النواحي، بدليل أنّ بعض أفرادها لازالت تربطهم صلات مع أهاليهم في مواطنهم الأصلية[9].

تحيلنا معطيات التوزيع المعاصر لبقايا بني سكتان إلى احتمالين، يتصل أحدهما بأنّهم كانوا يشغلون خلال مرحلة الدعوة الإسماعيلية مجالا فسيحا يمتد من سفوح جبال الحلفاء المشرفة على فج مزالة شرقا إلى سفوح جبل بابور غير بعيد عن البلدية المعروفة به حاليا غربا، وهو ما يؤكد خبر القاضي النعمان حول كثرة الوافدين على أبي عبد الله الشيعي وتقاطرهم من كل الجهات عند نزوله في هذا المجال (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 49)، أمّا الثاني وهو الأقرب أنّ بني سكتان بعد أن ذهبت ريحهم، وفقدوا رياستهم، بعد أن أفنتهم الحروب، وانتقال وجوههم مع الفاطميين إلى إفريقية، قلّ شأنهم، وتفرقوا أوزاعا بين عدة مناطق كما بيّناه سلفا.

2. ما الذي استهواه الإسماعيلية في موضع إيكجان وأحوازه ؟

تحسن الإشارة في مطلع هذا المبحث إلى أنّ رهان الدعاة الإسماعيلية في نجاح دعوتهم ببلاد كتامة لم يكن مقتصرا على مجال إيكجان وساكنته، الذي لا يشغل سوى حيّزا يسيرا من فضاء واسع يمتد على مسافة «خمسة أيام طولا في عرضه مسافة ثلاثة أيام» (النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 37)، ومن ثمّ فإنّ حفرنا في المؤهلات التي استقطبت الإسماعيلية إليها سيخترق في العديد من المناسبات حدود أحوازها، ويمتد إلى كامل الفضاء الكتامي، ذلك أنّ إيكجان في واقع الأمر لم تكن إلاّ قاعدة لهم، ومقرا لتصريف شؤونهم وبث أفكارهم، أما المرام الأساس فارتكز على الاستثمار في كامل المقدرات التي كانت تنعم بها بلاد كتامة، وتسخيرها لأجل خلق عصبية مذهبية تتطلع إلى التضييق من دائرة الخلافات القبلية، وتوجيه كامل طاقتها لتحقيق الهدف المرحلي الأوّل ممثلا في إسقاط دولة الأغالبة، أقرب القوى السياسية الكبرى إلى هذه البلاد.

ومهما يكن من أمر فإنّ اختيار إيكجان وأحوازها من قبل قادة الدعوة الإسماعيلية في المشرق لتكون قاعدة لهم في المغرب لم يكن بمحض الصدفة، بل إنّ المتمعن في المظان المصدرية التي تناقلت هذا

---

[8]. وقفت على هذه المعطيات من خلال خرجة ميدانية قمت بها إلى جبال الحلفاء، غرب ولاية بتاريخ 12مارس 2019.

[9]. أخبرني أحد القاطنين حاليا بنواحي قالمة من «عائلة بودور» أن أصل أسرته من قرية عين جوهرة (من أحواز إيكجان) التي تبعد عن بلدية عين السبت ولاية سطيف بأربعة كيلومترات، وأنّ جده كان إلى عهد قريب يذهب دوريا إلى المنطقة من أجل تحصيل مقابل كراء أراضيهم التي يملكونها هناك. تمّ توثيق هذه الشهادة بتاريخ 29 أكتوبر 2020.

الخبر (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 36 - 38 ، الداعي إدريس، عيون الأخبار، 1985 : 84 - 89) يكتشف بأنّه أُتخذ بناء على تقارير مفصلة عن قبيلة كتامة ومجالها، رفعت من قبل الدعاة إلى القيادة الأولى في سلمية، وهو ما نستشفه من خلال الأسئلة الدقيقة التي وجهها أبو عبد الله الداعي لمرافقيه من حجاج كتامة، التي نشتم في ثناياها المعرفة المسبقة له بخصائص هذا المجال وطباع أهله (المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1996 : 1/ 55 - 58، الطالبي، 1955 : 679)، ويزيدها تأكيدا تعقيبه على استغراب مرافقيه من معرفته بموضع فج الأخيار رغم أنهم لم يذكروه له من قبل قائلا «البلدان توصف للنّاس وتذكر لهم وإن لم يروها» (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986: 36 - 38).

وبالاستناد إلى ما ذهب إليه بعض الدارسين (الدشراوي، 1994 : 85، مجاني، 2010 : 77 - 78) من ترجيح انتقال قيادة الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب بعد وفاة الحلواني إلى أبي عبد الله الأندلسي[10]، فإنّنا نعتقد بأنّ هذا الأخير هو الذي اقترح إيكجان لتكون مقرا لصاحب البذر، سواء بمبادرة منه، أو استجابة لطلب القيادة، ويظهر من خلال استراتيجية هذا الموقع وحيويته أنّه كان على معرفة كبيرة بدقائق مواصفاته لقربه من مجال دعوته (النويري، نهاية الأرب، 2004 : 28/ 48)، ولعل وجود حريث الجيملي وموسى بن مكارم ضمن وفد الحجيج كانت غايته اصطحاب أبي عبد الله الداعي إلى مضارب بني سكتان، وما الرواية التي نقلها لنا مؤرخ دولتهم سوى جزء من الحبكة النعمانية في تخليد مآثر الدعوة الإسماعيلية بالمنطقة، التي اصطنع خيوطها باقتدار، وبناها منذ البداية على طابع المصادفة في التقاء أبي عبد الله الشيعي بحجاج كتامة (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 34 وما بعدها).

وتستوقفنا القراءة الدقيقة لمعطيات الاختيار الإسماعيلي لموضع إيكجان في فضائه الموسّع عند مجموعة من العوامل، التي تنمّ عن استراتيجية هذا الاختيار وحسن انتقائه على أصعدة عدة، أهمها:

1.2. الموقع:

تكشف المعاينة الميدانية للمكان الذي اصطفاه الإسماعيلية ليكون مقرا لنشاطهم الدعوي عن عبقرية كبيرة في تحديد موقعه واستراتيجية تموضعه، ويظهر ذلك من خلال تنوع مزاياه وحيوية خصائصه البيئية والمجالية، من مثل:

- **الحصانة الطبيعية :** يجمع الباحثون على هذه الخاصية التي ميزت موقع إيكجان، الذي يأخذ طابعا جبليا (الإدريسي، نزهة المشتاق، 1994 : 1/ 269) صعب المسالك، وتحتضنه الكتل الجبلية من عدة جهات، بدءا بجبل سيدي ميمون الذي بنيت قلعة إيكجان في سفحه، وتسنده جبال أخرى زادت من حصانته على غرار: مرزقان، وسيدي صالح، وبابور (Féraud, 1871 –1872 : 58).
- **جمعه بين مزايا الجبل والسهل والماء :** وفيها تظهر عبقرية اختيار الموضع، الذي لم يضمن فيه الإسماعيلية المنعة الطبيعية فحسب، بل إنّ إشرافه على مجموعة من السهول الخصبة ـ لاسيما

[10]. أبو عبد الله محمد بن حمدون، أصله من عرب جذام، وكان ممن أدرك الحلواني وأخذ عنه، ثمّ اشتغل بالتعليم حتى ذاع صيته فيه، وعليه نزل أبو عبد الله الداعي ضيفا عند مروره بموضع إقامته، فانضم إلى دعوته، وانتقل معه إلى إيكجان. (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 39 – 43، خليفي، 2008/2007 : 67 – 70).

من جهة الشرق: شعبة الزكار، وظهر التين، وأراضي خصبة واسعة تمتد من منطقة بوبكر حتى مجرى الوادي الكبير على الحدود مع ولاية ميلة ـ المعززة بعدة موارد مائية كالعيون (عين أقارو وعين المكمن)، والوديان (بورديم، الكلاب، وأعظمها الوادي الكبير) (لقبال، 1979 : 154) ـ كفيل بضمان تموين قار بالمستلزمات الغذائية والاقتصادية، لاسيما في أزمنة الحروب التي تزيد فيها قيمة هذه المقدرات.

- **سهولة المراقبة منه :** احتلت هذه الميزة قيمة خاصة عند الإسماعيلية بحكم خصوصية المرحلة وطابع السرية الذي ميّزها، وهو ما استلزم مزيدا من الحيطة والحذر، ومن لوازمه أن يكون مقر الستر في منأى عن مباغتة الأعداء، وهو ما توافر في إيكجان التي سمح موقعها المرتفع بمراقبة مناطق واسعة من المجالات المحيطة بها (الإدريسي، نزهة المشتاق، 1994 : 1/ 269، مرمول، 1983 : 41).
- **العزلة :** شكّل هذا العامل أحد المغريات الرئيسة التي حفّزت الإسماعيلية على اختيار إيكجان، ذلك أن عزلتها الطبيعية التي فرضها عليها طابع مجالها البيئي، تعزّز أكثر بمغذٍ أخر تمثّل في بعدها عن المسالك التجارية الرئيسة، فشكّلت بذلك بيئة نموذجية للنشاط الدعوي بعيدا عن لفت الأنظار إليها على الأقل في مراحلها الأولى (مجاني، 2010 : 79).
- **البُعد عن رقادة:** إنّ وقوع إيكجان في أقصى الحدود الغربية لدولة الأغالبة على مسافة « عشرة أيام» (المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1996 : 55/1) من رقادة جعل الدعوة في منأى عن مضايقة أمرائها أو حلفائها في المنطقة، ولو أنّه يحمل في الآن نفسه صفة للقرب بالنظر إليه من جهة الأهداف المستقبلية لها (أقرب الخصوم)، إذا ما قسناه على مناطق أخرى في الغرب التي سيؤدي الاستقرار بها إلى تزايد عدد الخصوم المحتملين (الدشراوي، 1994 : 87).

2.2. الفراغ المذهبي:

باستثناء بعض الإشارات المصدرية التي تؤكد بأنّ فرع بني عفنيت من كتامة كانوا يميلون إلى مذهب الإباضية (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 111)، فإنّ عزلة المجال الكتامي للدواعي التي أثرناها في النقطة السابقة جعلت ساكنته في منأى عن نشاط دعاة المذاهب قبل منتصف القرن 3هـ/9 م، وهو ما يفسّر بساطة معرفتهم بالأحكام الشرعية، وتواضع ثقافتهم الدينية البعيدة عن السجالات المذهبية والتشعّبات العقدية (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986: 37، بوبيدي، 2020: 14)، وهو ما مثّل مغريا كبيرا للإسماعيلية الذين رأوا فيها مجالا خصبا لنشر أفكارهم دون أن ينافسهم فيها أحد، ولعل ما زاد من غبطتهم هو نجاح محاولات جس النبض الأولى التي أسفرت عن استجابة بعض السكتانيين لدعوتهم، ومنهم حريث الجيملي وموسى بن مكارم المشار إليهما سابقا (ابن الأثير، الكامل، 1987 : 1/ 451).

3.2. ملاءمة المعطيات السياسية :

حملت بعض معطيات المشهد السياسي في بلاد كتامة من جهتها عدة عوامل مشجّعة للإسماعيلية من أجل تكثيف تواصلهم مع ساكنتها، وإنشاء قاعدة دعوة قارة لهم بها، ومن ملامحها:

- **رفض كتامة الخضوع إلى السلطة :** شاركت كتامة العديد من القبائل المغربية هذه الخاصية، حيث كان معظمها يؤثر حياة الحرية وعدم الخضوع لسلطان الدول، وهو ما أكّده حجّاجها لأبي عبد الله الداعي عندما سألهم عن علاقتهم بالأغالبة (المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1996 : 55/1).

وتعزّزت استقلاليتهم أكثر بحرصهم على حرية التصرف في مواردهم وأموالهم دون أن تطالها جباية الدول «ما وجب في أموالنا (كتامة) من عشر أو صدقة أخرجناها نحن بأنفسنا ودفعناها إلى فقرائنا، فقال (الداعي) : فلا سبيل للسلطان عليكم فيذلك ؟، قالوا : لا» (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 37)، وهي الميزة التي حافظوا عليها حتى بعد قيام الخلافة الفاطمية، فقد اعترضوا على محاولة الخليفة المعز لدين الله (341 – 365 هـ/ 952 – 975 م) فرض الضرائب عليهم تحت غطاء الصدقة قائلين «والله لا فعلنا ذلك أبدا، كيف تؤدي كتامة الجزية، ويصير عليها في الديوان ضريبة؟ وقد أعزها الله قديما بالإسلام، وحديثا معكم بالإيمان» (المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1996 : 98/1).

- **مضايقة حكام الحواضر لبعض فروع كتامة :** بالرغم من صورية ولاء الأمراء العرب للمدن المحيطة بكتامة للسلطة الأغلبية، بيد أنّها شكّلت في واقع الأمر طوقا أمنيا يقي الأخيرة من أيّ خطر قد يأتي من هذه المنطقة (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 36) وقد عانت بعض فروع كتامة أثناء هذه الفترة من تحرشاتهم، حتى بلغ الحد بأمير بلزمة أن عبّدهم، وألزمهم بحمل العشور والصدقات إليه على أعناقهم (النويري، نهاية الأرب، 2004 : 28/ 71)، وهو ما تسبّب في توتر العلاقات معها (المدن)[11]، مشكّلا بذلك عاملا إضافيا استغله الإسماعيلية لصالحهم في خدمة مشروعهم الدعوي بالمنطقة، من خلال الاستثمار في نقمة الكتاميين على هؤلاء، ورغبتهم في الثأر منهم والحد من مضايقاتهم.
- **تطلّع كتامة إلى الخروج من عزلتها :** لا جرم بأنّ هذا المعطى كان من أبرز النقاط الجوهرية التي ركّز عليها الإسماعيلية في محاولتهم استمالة الكتاميين إلى دعوتهم، لاسيما الأمراء والشيوخ منهم، الذين كانوا يشعرون بأنّهم يملكون من المقدرات أضعاف ما تحوزه بعض القبائل الأخرى التي حظيت بمكانة متميّزة على الساحة السياسية، بفضل اتكائها إلى بعض القوى السياسية، أو انخراطها في بعض الدعوات المذهبية، وما أمر قبائل منطقة تاهرت مع الإباضة (ابن الصغير، أخبار الأئمة الرستميين، د.ت : 25 – 27)، وأوربة مع الأدارسة (ابن أبي زرع، روض القرطاس، 1972 : 20) وحتى بعض الفروع القبلية المجاورة مع الأغالبة عنهم ببعيد، فكان بذلك تواصل الإسماعيلية معهم فرصة مواتية للخروج من قوقعتهم، واستثمار إمكاناتهم الضخمة، في تحصيل تموضع متميّز ضمن النسيج السياسي المحلي وحتى الإقليمي بما يتناغم مع حجم حضورهم وتمثيلهم في المنطقة (بوبيدي، 2020 : 10).

[11]. يرى النويري أنّ هذا السلوك المذل لأمير بلزمة مع الكتاميين كان أحد الأسباب القوية التي جعلت الأواخر ينخرطون في المشروع الإسماعيلي. (النويري، نهاية الأرب، 2004 : 28 / 71)

4.2. بعض خصائص الشخصية الكتامية :

حملت قبيلة كتامة جملة من الخصائص البشرية والذهنية التي اشتركت في بعضها مع نظيراتها من القبائل المغربية، واختلفت معها في البعض الأخر، ولعلّ ما يهمّنا منها في هذا المقام هي تلك المواصفات التي تتناسب مع الجزئية التي نحن بصددها، ومن أبرزها:

- **الوفرة العددية وقوة الشكيمة :** تتفق المصادر على أنّ قبيلة كتامة تعدّ من أوفر قبائل بلاد المغرب من حيث التعداد، وأكثرها انتشارا في المنطقة، وأنّ أفرادها من أشرس المقاتلين في ميادين الوغى، وأقواهم شكيمة ومراسا (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 38، ابن خلدون، العبر، 2000 : 6/ 195)، وهو ما أثبتوه عمليا في حروبهم الضارية التي خاضوها قبل قيام الخلافة الفاطمية وبعدها، مغربا ومشرقا.
- **توقير أهل العلم :** صحيح أنّ هذه السمة أقرب لأن تكون فطرية في الإنسان، إلاّ أنّ ميزة كتاميي إيكجان وأحوازها خلال هذه المرحلة، أنّهم على بساطتهم وتواضع معرفتهم كانوا يوقرون من انتسب إلى العلم حتى ولو لم يتعد رصيده منه النظر «في شيء من العلم» (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 37)، وهي النقطة التي اكتشفها فيهم الإسماعيلية، ومنها نفذ أبو عبد الله الداعي إلى قلوبهم، لاسيما مع ما تمتع به من حسن بسط، وقوة تأثير في المستمعين (النويري، نهاية الأرب، 2004 : 28/51 - 52).
- **الميل إلى آل البيت :** شكّل هذا العامل مفتاح ولوج دعاة آل البيت بمختلف فروعهم إلى قلوب المغاربة ككل (ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، 1976 : 1/154)، ويزيد فاعلية في حالتنا هذه، لكون أنّ الحركة الإسماعيلية ركّزت في أنشطتها الدعوية على بسط ظاهر علوم آل البيت، والترويج لفضائل كبار أئمتهم وأعلامهم (المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1996 : 1/ 55)، وليس أحسن من يُبث ذلك بين أقوام جُبلوا منذ اعتناقهم للإسلام على تعظيم هذه الفئة، لأنها تنحدر من ولد فاطمة رضي الله عنها بنت النبي صلى الله عليه وسلم، فكانت النتائج باهرة بأن أحدثت انقلابا سياسيا ومذهبيا كبيرا في كامل المنطقة.

3. مضمرات الهجران الإسماعيلي لإيكجان :

تطرح العديد من الاختيارات الاستراتيجية للإسماعيلية في مرحلتي الدعوة والدولة كثيرا من التساؤلات، إذ على الرغم من أنّ كتامة شكّلت عصبهم العسكري الرئيس الذي قامت على كاهله دولتهم في المنطقة، ومع أنّ الخلفاء الفاطميين أجزلوا العطاء للمخلصين من رجالاتها، وأغدقوا عليهم بالامتيازات، بيد أنّها على المستوى الجماعي ـ كقبيل ـ لم تحض بالاهتمام الذي يرقى إلى مستوى تضحياتها، لاسيما فيما يتعلق بالحراكين المفصليين اللذين أقدم عليهما الإسماعيلية في المنطقة، سواء في النقلة الأولى بعد الإعلان عن قيام الخلافة، التي آثروا فيها رقادة على إيكجان كقاعدة للدولة الجديدة (اليماني، سيرة الحاجب، 1936 : 89 – 133)، أو في النقلة الثانية الأكبر حين قرروا الرحيل إلى المشرق، وفضّلوا أن يسندوا نيابتهم على المغرب كله إلى قبيلة صنهاجة بدلا من الكتاميين (المقريزي، الخطط، د.ت : 1/ 352 - 353).

وتهمّنا منهما في هذا الموضع القضية الأولى المرتبطة بهجران الإسماعيلية لدار الهجرة بإيكجان، وفقدان الأخيرة لمحورية حضورها على الساحة السياسية لصالح رقادة ـ ثمّ المهدية ـ بمجرد أن تمّ الإعلان عن قيام الدولة الفاطمية وانتصاب عبيد الله المهدي خليفة عليها، بل إن المتتبّع لتطورات الأحداث يقف على قطيعة نهائية مع هذه القاعدة، التي خبت بعد هذه النقلة الإشارات المصدرية إليها، مع انقلاب في نمطية صورة ما حضر من تلميحات، حيث تحولت من «موطن للدين ومعدن الإيمان» (ابن الهيثم، المناظرات، 2001 : 119) على عهد أبي عبد الله الداعي، إلى مأوى للمتمردين والمعارضين للفاطميين على الأقل في فترة حكم عبيد الله المهدي (296 - 322 هـ/ 909 - 933 م). (ابن عذاري، البيان المغرب، 1981 : 1/ 166)

وقد سبق للأستاذ علاوة عمارة أن طرح جانبا من هذه الإشكالية ضمن مقاله الموسوم بـ «الفاطميون والمغرب الأوسط: التوجّه الساحلي للسلالة الحاكمة وأنماط الحكم في المجالات»، حين تساءل عن عوامل ترك الفاطميين لمركزهم في أقصى الحدود الغربية لإفريقية، ولئن كان السياق الذي عالج فيه هذه الجزئية قد جعله يتناوله ضمن ثنائية تلافي أيّ تمرد محتمل من المنشقين الكتاميين، أو تناغما مع المستلزمات التوسعية التي تستهدف بالأساس حكم المشرق (عمارة، الفاطميون، 2021 : 34-64)، فإنّنا في هذا الموضع ـ الذي نعدّه مكمّلا لإشكاليته ـ سنحاول أن نغور بشكل أوسع في أبرز الظرفيات والمعطيات التي جعلت الفاطميين يهجرون إيكجان بصورة نهائية.

تحسن الإشارة في البداية إلى أنّ دخول عبيد الله المهدي إلى إيكجان كان في مطلع شهر ربيع الثاني من سنة 297هـ/909م قبل أن يتولى الخلافة بشكل رسمي، ولم تزد إقامته بها عن عشرين يوما، ليقرر بعدها المغادرة إلى رقادة، بعد أن أخذ الأموال والغنائم التي كانت بحوزة شيوخ القبائل ودعاتها، طالبا منهم الانتقال معه رفقة عائلاتهم إلى إفريقية (اليماني، سيرة الحاجب، 1936 : 89 – 133)، بيد أنّه لم يفصح عن الأسباب التي جعلته يتخذ هذا القرار، كما أنّ ما بحوزتنا من مظان لا ينمّ عن امتعاض الداعي أو شيوخ كتامة من هذا الإجراء، وبالرغم من أنّ هذه النّصوص لا تبوح بأشياء ذات قيمة كبيرة يمكن أن تساعدنا على رسم صورة واضحة عن الدوافع الحقيقية للنقلة الإسماعيلية إلى إفريقية وهجرانهم لقاعدتهم الروحية في إيكجان، غير أنّنا سنحاول أن نحفر عن بعض أسرارها ضمن المعطيات السياسية ـ المذهبية والقبلية والمجالية التي أحاطت بهذا الحدث، كما تستظهره النقاط الموالية:

- عُسر تمصير قاعدة إيكجان وافتقارها إلى المقدرات التحتية التي تؤهلها لأن تصبح المركز الرئيس لصنع القرار السياسي في المنطقة كلها، إن جغرافيا لغلبة الطابع الجبلي على مجالاتها (الإدريسي، نزهة المشتاق، 1994 : 269/1)، أو استراتيجيا كونها تقع في آخر حدود إفريقية، وأكثر ما زاد في انغلاقها بعدها النسبي عن مسالك التجارة الرئيسة التي تمر عبر المنطقة (مجاني، 2007 : 147 – 162).
- إن اختيار إيكجان كعاصمة للدولة الجديدة، وهي القلعة الصغيرة التي تحيط بها مجموعة من السكنات الحجرية الهشة (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 109، عقاب ويحياوي، 2000 : 8 – 16)، يستلزم اختطاط مدينة جديدة، بما تتطلبه من وقت طويل ـ وهو في غير صالح

دولة ناشئة ـ وتخصيص أموال ضخمة من أجل تمصيرها، وبناء مرافقها وتحصيناتها، مما قد يستهلك كافة الأموال التي جَهِد الكتاميون في تحصيلها لعقدين من الزمن، على عكس قاعدة رقادة التي تحوز على كافة المؤهلات من مؤسسات ودواوين التي ورثها الفاطميون عن الأغالبة بعد أن قضوا على دولتهم (الداعي إدريس، عيون الأخبار، 1985: 176 – 177).

- وفي نقطة مكمّلة أنّ اختيار منطقة إيكجان كعاصمة للدولة الفاطمية، سيعني بالضرورة أن تكون غالبية الكوادر الإدارية التي ستتولى تسيير مختلف أجهزتها ومؤسساتها من الكتاميين، وهم كما أخبرت بذلك المصادر أهل حرب وسيف وأبعد ما يكونوا عن أمور الإدارة والتدبير السياسي (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 37 – 38)، الأمر الذي سيضع الخلافة في مصاعب جمة، لاسيما وأنّها دولة ناشئة تحتاج إلى ذوي الخبرة وحسن التسيير من أجل ضمان انطلاقة جيدة لهذا الكيان، ولعل ذلك ما يفسّر لجوء عبيد الله المهدي إلى الاستعانة بالموظفين الأغالبة في إدارة بعض دواوين وأجهزة دولته (ابن عذاري، البيان المغرب، 1981 : 159/1).
- قد يكون الأمر من زاوية أخرى له صلة بدواعٍ عسكرية، رام من خلالها عبيد الله المهدي إلى قطع الطريق أمام أهل إفريقية، ومنعهم من استجماع قواهم والهجوم على الفاطميين إذا ما قرر الأواخر اتخاذ إيكجان قاعدة لهم، أو التصدي لأيّة محاولة من الخلافة العبّاسية لاسترجاع سيادتها الشكلية على المنطقة ولو بصورة غير مباشرة، عبر تقديم الإمدادات والتعزيزات العسكرية لفلول الأغالبة من أجل إعادة إحياء دولتهم وطرد الفاطميين من المنطقة.
- إدراك الإسماعيلية على ضوء طول أمد إقامتهم ببلاد كتامة، ومعرفتهم بطباع أهلها، أنّ بقاءهم في مجالها محفوف بكثير من المخاطر، صحيح أنّ البلاد دانت لهم، إلاّ أن التجربة الدعوية بها كشفت بأنّ بعض فروعهم غير مأموني الجانب، وقد يشقون عصا الطاعة في أية لحظة، إذا ما سخطوا على بعض سياسات الخلافة أو امتعضوا من سلوكها تجاههم، وهو الأمر الذي حدث حتى بعد ارتحالهم إلى رقادة، لاسيما بعد مقتل أبي عبد الله الشيعي، الذي أدى إلى وقوع عدة هزات في رقادة والقيروان (المقريزي، اتعاظ الحنفا، 1996 : 68/1).

وكانت أخطرها حركة أجانة وماوطن التي أعلنت الثورة بعد عودتها إلى مضاربها بقيادة كادو بن معارك الماوطي المعروف في بعض المصادر بالمهدي الكتامي، الذي سرعان ما دانت له ميلة وقسنطينة وامتد نفوذه حتى الزاب، فأوجس منه عبيد الله المهدي خيفة لاسيما بعد هزمه للجيش الذي سيّره إليه، فأردفه بأخر أعظم منه يتقدمه ابنه القائم في 2 رمضان 299 هـ/ 912م الذي لم يقف إلّا على مشارف بلاد كتامة، فاسترجع السيطرة على المناطق التي استولى عليها الثوار، وألقى القبض على كادو بن معارك ونقله[12] معه إلى رقادة (ابن عذاري، البيان المغرب، 1981 : 1/ 166، ابن خلدون، العبر، 2000 : 4/ 48 - 49).

[12] يشير الداعي إدريس إلى أنّ القائم قتله ومن معه من الأسرى عندما أقتيدوا إليه في معسكره بإيكجان. (الداعي إدريس، عيون الأخبار، 1985 : 190 - 191)

- يرى علاوة عمارة أنّ تبرير الفاطميين لنقلتهم من إيكجان الإسماعيلية إلى رقادة ذات الأغلبية السنية جاء متأخرا وبأثر رجعي إن صح التعبير، منطلقا مما أسماه بـ «ابتكار دار الهجرة» الذي وظّفه الإسماعيلية في إضفاء الشرعية على كثير من توجّهاتهم واختياراتهم، من خلال تأكيده على أن إيكجان لم تتخذ كدار هجرة أثناء مرحلة الدعوة، وإنّما أُلصق بها هذا الوصف في مرحلة لاحقة من قبل مؤرخ دولتهم القاضي النعمان ضمن سياق صناعته لشرعية التوسعات الفاطمية نحو الشرق (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 146) ، ومن ثمّ فإنّ إيكجان ـ حسبه ـ قد شكّلت حلقة من سلسلة دور الهجرة الإسماعيلية التي حملت كل منها خصوصية في تنظيمها، ومؤسساتها، وأدوارها، وأهدافها، وتشترك جميعا في مرحليتها، وما الانتقال منها إلى دار الهجرة الجديدة بالمهدية (عبر رقادة) إلاّ ضرورة حتمية فرضتها التطورات الجديدة ومستلزمات المرحلة المقبلة في طريق بلوغ دار الهجرة الأكبر (بغداد عاصمة بني العباس)، التي تتيح السيطرة عليها حكم العالم الإسلامي تحت لواء المذهب الإسماعيلي (عمارة، الفاطميون، 2021 : 34- 64).
- وعلى ضوء معطيات الفكرة السابقة فإنّ الانتقال الإسماعيلي إلى رقادة لم يشكّل استثناءً مع القاعدة إيكجان، ويبدو من خلال النصوص أنّه خط سياسي عام نهجته الخلافة الفاطمية في مشروعها التوسعي نحو المشرق بحسب تطورات الأحداث، صحيح أنّ إيكجان كانت أوّل ضحية ـ إن صح التعبير ـ لهذا التوجّه، بيد أنّ الفاطميين هجروا بعدها عدة عواصم أعظم قوة وأكثر محورية منها، فقد اضطرتهم كثرة قلاقل البربر وعدم ارتياحهم في رقادة إلى الانتقال نحو دار هجرتهم الجديدة بالمهدية التي انتهى المهدي من تشييدها عام 308 هـ/ 920م (النويري، نهاية الأرب، 2004 : 69/28)، ومنها انتقلوا إلى القاهرة بعد سيطرتهم على مصر سنة 362 هـ/ 973م (المقريزي، الخطط، د.ت : 1/ 352 – 353)، وضمن هذه الاستراتيجية فقد كانوا سينتقلون منها إلى بغداد إذا ما تمّ لهم الاستيلاء على العراق، لأن هدفهم الأسمى كان هو القضاء على الخلافة العباسية وتوحيد العالم الإسلامي تحت حكمهم (عمارة، التعمير البشري، 2021 : 618- 635).
- على الرغم من الافتقاد إلى القرائن الكافية، بيد أنّنا نعتقد أنّ سلوك التوجّس والحذر الذي نهجه الإمام المهدي مع محيطه منذ أن كان في المشرق، قد زاد مؤشره في مستهل خلافته، لأنّه كان يدرك بأنّ دولته ولدت برأسين يتزعم طرفها الثاني أبو عبد الله الشيعي وشيوخ كتامة (النويري، نهاية الأرب، 2004 : 62/28)، وأنّ انتقال كامل السلطات إليه (الخليفة) سيغيظ من دون شك أصحاب الفضل الفعلي في قيامها، لاسيما أمام قرب العهد بسيناريو أبي مسلم الخراساني مع بني العبّاس (ابن الأثير، الكامل، 1987 : 105/5 – 113)، وتلافيا لتكرّر هذا المشهد المتوقع لا نستبعد أن يكون التحضير لمدافعة هذا الخطر الوجودي قد بدأ التخطيط له بروية حتى قبل الإعلان الرسمي عن قيام الخلافة في طريق العودة من سجلماسة ونزوله بإيكجان (الداعي إدريس، عيون الأخبار، 1985 : 167).

ولئن اتفقت المصادر على إلصاق تهمة المؤامرة التي حيكت ضد المهدي بأخي الداعي أبي العبّاس الأخطل (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 307، ابن خلدون، العبر، 2000 : 4/ 47)، فإنّ

الخليفة وتجنّبا لخروج الأمر عن سيطرته عمد منذ البداية إلى الحد من نفوذ هذا الفريق وترويض طموحاته، وهو ما حاول تجسيده عبر مرحلتين، سعى في أولاهما إلى إبعاد الداعي عن المعقل الروحي لأنصاره (حتى من قبل أن يبدي امتعاضه)، بأن نقل مركز صنع القرار من إيكجان إلى رقادة[13] (النويري، نهاية الأرب، 2004 : 66/28)، الذي كان بالإمكان أن يؤخَر على الأقل حتى اختطاط دار الهجرة الجديدة بالمهدية، ثمّ توزيع شيوخ كتامة على مختلف مناطق بلاد المغرب، وفتح باب التنعّم والترف أمامهم على نقيض ما عودهم عليه الداعي، في خطوة ثانية هدفها استثارته واختبار مدى صبره وولائه (ابن عذاري، البيان المغرب، 1981 : 1/ 164 - 165)، فلمّا أحسّ المهدي منه الإنكار لم يتوان عن قتله رفقة كبار معاونيه الذين شاركوه حركة التمرّد (الداعي إدريس، عيون الأخبار، 1985 : 182).

أمّا الأمر الثاني الذي يستدعي التساؤل في قضية الهجران الإسماعيلي لقاعدة إيكجان، هو أنّه حتى ولو سلّمنا بمنطقية مبررات الانتقال إلى إفريقية وعمليتها تبعا للتطورات الحاصلة، فإنّ الذي يلفت الانتباه في هذه النقلة هي تلك القطيعة النهائية للإسماعيلية مع قاعدتهم الروحية في إيكجان، التي لم تضاهيها عندهم حتى وقت قريب أيّ «من مدائن كتامة والمغرب في هذه الفترة ... باعتبارها مستودعا لأخلص رجاله (الداعي)، ولذخائره، وأمواله» (لقبال، 1979 : 268)، ومرة أخرى نجد أنفسنا أمام سكوت المصادر عن مضمرات هذه المسألة، ننحى إلى رسم مقاربة أولية حول هذه الإشكالية انطلاقا من المعطيات والظرفيات التي وُجدت فيها، على ما سنبيّنه في النقاط الموالية:

- إنّ نوايا الاستقرار المؤقت أو المرحلي للإسماعيلية في بلاد كتامة ظهرت منذ بداية وجودهم في المنطقة، التي عدّوها محطة إعداد وعبور من أجل تجسيد أهدافهم التوسعية نحو الشرق، بدليل اكتفائهم باتخاذ قلعة قيادة وعدد من الدور الحجرية البسيطة ذات الطابع الريفي المحيطة بها في قاعدتهم إيكجان (وكذلك كان الشأن من قبل مع قاعدة تازروت) ، وبالرغم من التزايد المستمر لأعداد المقيمين بها، وتكدس الأموال التي ظفر بها الداعي في حروبه (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 109، 146، 288 – 289) إلاّ أنّه لم يفكّر في توسيع مجالها، وتنظيم خطتها، وتطوير عمرانها، مما ينمّ على مرحلية دورها.
- إنّ مبرّرات اتخاذ دار الهجرة في إيكجان قد انتفت بعد الانتقال إلى مرحلة الظهور على إثر النجاح في تأسيس كيان سياسي خاص بالإسماعيلية، وأنّ طبيعة الوضع الجديد يستلزم استحداث دار هجرة جديدة، بمؤهلات ومقدرات تكون في مستوى تحديات المرحلة القادمة، وتتناغم مع التوجّهات الجديدة للسلطة، وهي النقاط التي رعيت ـ بلا ريب ـ في اختطاط دار الهجرة المستحدثة بالمهدية (الداعي إدريس، عيون الأخبار، 1985 : 209 – 210)، مما غلق نهائيا ملف الرجعة إلى إيكجان، أو محاولة تكييف وضعها مع المستجدات الحاصلة.

[13] قارن الرواية الإباضية بهذا الشأن عند (أبي زكريا، السير، 1982 : 173).

- إنّ الثقل الذي كانت تشكّله قاعدة إيكجان خلال مرحلة الدعوة كان مبنيا بالأساس على مرتكزات ثلاثة، ما لبثت أن فقدتها مجتمعة بعد الإعلان عن قيام الدولة، مما أضعف من شأنها وقلّل من حظوتها، فقد كانت المركز الأوّل لصنع القرار وفقدته لصالح رقادة قاعدة الدولة الجديدة، وكانت تضمّ أشهر رجالات الدعوة وكبار شيوخها وقد غادروها بصحبة عبيد الله المهدي إلى إفريقية[14]، وكانت أموال الدعوة ومدخراتها تحت أيدي زعمائها وقد سلموها إلى الإمام المهدي أثناء تعريجيه عليها (القاضي النعمان، افتتاح الدعوة، 1986 : 288 - 289)، فتمّ بذلك قطع كل الصلات الروحية والإدارية والمادية التي كانت تشدّ الإسماعيلية إليها.
- أنّه بتصفية أبي عبد الله الشيعي خسرت إيكجان وكتامة نصيرا قويا لها، لكونه أعرف الإسماعيلية بمنزلتها، وأكثرهم تقديرا لرمزيتها وحجم تضحياتها في سبيل قيام هذه الدولة، فتسبب مقتله في تراجع دور قاعدتها، ولعل ما زاد في تهميشها هو موقف الكتاميين من حادثة الاغتيال هذه، بالتجاء بعضهم إلى مواطنهم الأصلية وإعلانهم التمرد على الخلافة كما سلفت الإشارة إليه(ابن عذاري، البيان المغرب، 1981 : 1/ 166 – 167)، وهو ما حوّلها في نظر الأخيرة إلى مصدر قلق وجب تحجيمه والتضييق عليه.

[14] تمّ ذلك بطلب من عبيد الله المهدي ، وهو إجراء لا يخلو من دواع احترازية، رام من خلاله إلى وضع وجوه كتامة تحت نظره، حتى يأمن شرهم، خاصة مع ما أبدوه من امتعاض لأخذه الأموال التي كانت تحت حراستهم، فخشوا بذلك على مكانتهم، وعلى مستقبلهم في إطار الدولة الجديدة (النويري، نهاية الأرب، 2004 : 28/ 65).

خاتمة:

كشفت هذه الدراسة في شقها الأوّل أنّه ودون إغفال لفاعلية الجانب المذهبي وتأثير الخطاب الدعوي في نجاح المشروع الإسماعيلي ببلاد المغرب، بيد أنّ هذا التوفيق يدين في قسط كبير منه إلى العصب الكتامي، بما كان يحوزه من مؤهلات ضخمة ـ من القوة (عددا وشكيمة)، واستراتيجية الموقع (حصانة، وتموينا، وقربا من الأهداف)، زيادة على الاستعداد النفسي وملاءمة الظروف السياسية والمذهبية ـ التي ظلت في حاجة إلى من يؤطرها ويفجر طاقاتها، وهو ما تكفّل به الإسماعيلية، فكانت النتيجة أن نشأ اتحاد قبلي بمرجعية مذهبية، ما لبثت أن صار القوة الأولى في كامل المنطقة.

وإذا كان عامل امتلاك المؤهلات هو الذي استقطب الإسماعيلية إلى إيكجان وحفّزهم على اتخاذها قاعدة لهم، فإنّ العامل ذاته هو الذي جعلهم يهجرونها، ذلك أنّ الانتقال إلى طور الظهور وقيام الدولة قد أحدث واقعا جديدا، إن على الصعيد المؤسساتي أو على مستوى الرهانات المستقبلية، مما جعل البقاء في إيكجان أمرا مستعصيا، لعدم تواؤم إمكاناتها مع الوضع الجديد، سواء من حيث موقعها الأصلح للعمل الدعوي والعسكري، زيادة على كونه لا ينسجم مع التوجّه الشرقي للدولة، أو من حيث الهياكل الإدارية والقدرات التسييرية التي تعدم إليها هذه القاعدة، إلاّ أنّ الذي يثير الاستغراب هو اكتساء هذا الهجران صفة القطيعة النهائية، التي تحوّل فيها وضع إيكجان من معقل روحي للدعوة ومحجّ للمؤمنين إلى مجال منبوذ يعاني التهميش والإقصاء، لاسيما بعد تصفية أبي عبد الله الداعي في جماعة من رؤوس كتامة، فوقع بذلك إعدام للداعي وقاعدته في الوقت ذاته.

وعلى أهمية مما توصلت إليه هذه الدراسة في الكشف عن بعض غوامض المرحلة الانتقالية للنشاط الشيعي الإسماعيلي في بلاد المغرب بين مرحلتي الدعوة وتأسيس الدولة، بيد أنّ الموضوع الذي تعالجه ما زال يحتفظ بكثير من أسراره، وهو ما يفتح الباب أمام آفاق بحثية أوسع وأعمق، لاسيما فيما يتعلق برسم ملامح الرؤية الاستراتيجية الفاطمية في انتقاء قواعد الحكم، وتحديد معايير تحيين الأولويات بحسب ما يفرضه جديد المتغيّرات المذهبية والسياسية.

البيبليوغرافيا :

ـ المصادر:

1. ابن أبي الضياف أحمد بن عمر (1291 هـ/ 1845م)، (1976)، *إتحاف أهل الزمان بأخبار تونس وعهد الأمان*، تونس، الدار التونسية للنشر، ج1.
2. ابن أبي زرع أبو الحسن بن علي الفاسي (بعد 726 هـ/ 1326م)، (1972)، *الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس*، الرباط، دار المنصور.
3. ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد (ت 630 هـ / 1232 م)، (1987)، *الكامل في التاريخ*، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، ج5، ج6..
4. الإدريسي محمد بن محمد الشريف (ت 560 هـ/ 1166م)، (1994)، نزهة *المشتاق في اختراق الآفاق*، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ج1.
5. ابن حماد محمد بن علي الصنهاجي (628 هـ/ 1230 م)، تحقيق: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس (د.ت)، *أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم*، القاهرة، دار الصحوة للنشر.
6. ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد (808 هـ/ 1406م)، تحقيق: خليل شحادة وسهيل زكار، (2000)، *ديوان العبر والمبتدأ في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر*، بيروت، دار الفكر، ج4، ج6.
7. الداعي إدريس عماد الدين القرشي(ت 872 هـ/1462م)، (1985)، *عيون الأخبار وفنون الآثار*، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
8. أبو زكريا يحي بن أبي بكر (ت 471 هـ/ 1078 م)، تحقيق: إسماعيل العربي، (1982)، *سير الأئمة وأخبارهم*، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
9. ابن الصغير المالكي (ت القرن 3 هـ/ 9م)، تحقيق: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، (د.ت)، *تاريخ الأئمة الرستميين*، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
10. ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي (بعد 712 هـ/ 1312م)، تحقيق: ج.س. كولان و.ل. بروفنسال، (1983)، *البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب*، ط3، بيروت، دار الثقافة، ج1.
11. القاضي النعمان بن محمد بن منصور التميمي (ت 363 هـ/ 974م)، تحقيق: فرحات الدشراوي، (1986)، *افتتاح الدعوة*، تونس ـ الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع وديوان المطبوعات الجامعية.
12. المقدسي محمد بن أحمد البشاري (ت ق 4 هـ/10م)، (1906)، *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*، ط2، ليدن، مطبعة بريل.
13. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (845 هـ/ 1442م) تحقيق: جمال الدين الشيال، (1996)، *اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء*، القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ج1.
14. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي (845 هـ/ 1442م)، (د.ت)، *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*، القاهرة، مطبعة البولاق.12. المقدسي محمد بن أحمد البشاري (ت ق 4 هـ/10م)، (1906)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، ليدن، مطبعة بريل.
15. النويري أحمد بن عبد الوهاب (ت 732 هـ/ 1332م)، تحقيق : نجيب مصطفى فواز وحكمت كشلي فواز، (2004)، *نهاية الأرب في فنون الأدب*، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية، ج28.
16. ابن الهيثم أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الأسود (ت ق 4 هـ/ 10م)، نشر : ويلفرد مادلنغ وبول ولكر، (2001)، *كتاب المناظرات*، ضمن كتاب :

The Advent of Fatimids – A contemporary shi'i witness , London, I . B ,Tauris in

Association with the Institute of Ismaili Studies .

الكتب والمقالات:

أ ـ باللغة العربية:

1. بن النية رضا، (2019)، مجال كتامة أثناء الدعوة الإسماعيلية ـ مقاربة مواضعية: إيكجان وأحوازها أنموذجا، في: *التاريخ الثقافي لمنطقة سطيف: المجال، الإنسان*، التاريخ، ط1، العلمة ـ الجزائر، دار الوطن، 1/ 162- 207.
2. حسن إبراهيم حسن، (1985)، *تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب*، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية.
3. الخربوطلي علي حسني، (1972)، *أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية*، مصر، المطبعة الفنية الحديثة.
4. خليفي رفيق، (2007)، *البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن* 9هـ، (رسالة ماجستير)، قسنطينة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.
5. الدشراوي فرحات، (1994)، *الخلافة الفاطمية بالمغرب ـ التاريخ السياسي والمؤسسات ـ*، ترجمة: حمادي الساحلي، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
6. الطالبي محمد، *الدولة الأغلبية - التاريخ السياسي –*، ترجمة: المنجي الصيادي، (1955)، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
7. طويل الطاهر، (2011)، *المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط ـ من النصف الثاني للقرن 1 ـ 5 هـ ـ*، ط1، الجزائر، دار المتصدر.
8. عبد اللطيف سفيان، (2019)، *أصول قبائل منطقة جيجل من خلال المصادر*، ط1، جيجل ـ الجزائر، مطبوعات جمعية الوفاء والتواصل لولاية جيجل.
9. عقاب محمد الطيب وبويحياوي عز الدين، (2000)، موقع إيكجان بين المسح الأثري والنصوص التاريخية، *مجلة بحوث*، 6 (1)، 8 – 16.
10. عمارة علاوة، التعمير البشري والتعريب في المغرب الإسلامي الوسيط ـ بلاد كتامة أنموذجا، ترجمة: حسين بوبيدي(2021)، *مجلة المعيار*، 25 (62)، 618- 635
11. عمارة علاوة، الفاطميون والمغرب الأوسط: التوجّه الساحلي للسلالة الحاكمة وأنماط الحكم في المجالات"، ترجمة: حسين بوبيدي، (2021)، *مجلة مدارات تاريخية*، 3 (3)، 34- 64.
12. غوتيه إيميل فيليكس، *ماضي شمال إفريقيا*، ترجمة: هاشم الحسيني، (2010)، ليبيا: مؤسسة تاوالت الثقافية.
13. لعرابة نوال، (2015)، *آثار الدولة الفاطمية في المغرب الأوسط من خلال المواقع الأثرية ومجموعة متحفي سطيف وقسنطينة ـ دراسة أثرية فنية ـ* (رسالة ماجستير)، الجزائر، جامعة الجزائر2.
14. لقبال موسى، (1979)، *دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية - منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري-*، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
15. مجاني بوبة، (2007)، الدعوة الإسماعيلية والعمران: دار الهجرة إيكجان، في: *من قضايا التاريخ الفاطمي في دوره المغربي*، ط1، قسنطينة ـ الجزائر، دار بهاء الدين، 147 – 162.
16. مجاني بوبة، (2010)، *النظم الإدارية في بلاد المغرب خلال العصر الفاطمي*، الجزائر ـ عمان، دار بهاء الدين ودار عالم الحديث.
17. مرمول محمد الصالح، (1983)، *السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي*، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
18. اليماني محمد بن محمد (ت ق 4 هـ/ 10 م)، سيرة الحاجب جعفر، نشره: و.إيفانوف، (1936)، القاهرة، *مجلة كلية الآداب للجامعة المصرية*، 4 (1)، 89 – 133.

ب ـ باللغة الأجنبية:

1. CANARDM. (1952), L'autobiographie d'un chambellan du Mahdi Obeidallah le Fatimide, *Hespéris*, 270 - 329
2. CARETTE E. et WARNIER A. (1846). *Carte de l'Algérie divisée par tribus*.
3. EDRISI, (1866). *Description de l'Afrique et de l'Espagne*, Traduite par : Reinhart Dozy et Michael Jan De Goeje, Leyden –Brill.
4. FERAUD Ch. (1872), *Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine*, Alger - Paris, Bastide libraire-éditeur – Challamel Ainé libraire-éditeur, vol 2, série 5.
5. HAMDANI S. (2006), *Between Revolution and State : The Path to Fatimid Statehood Qadi al-Nuʿman Construction of Fatimid Legitimacy*, London, Piblished by I.B. Tauris,
6. IBN HAMMAD, *Histoire des Rois ʿObaidides (Les Califes Fatimides)*, Traduite par: Vonderheyden Madeleine, (1927), Alger - Paris, Jules Carbonal - Paul Geuthner.
7. MASSIGNON L. (1955), Les Sept dormants d'Ephèse (Ahl – al kahf) en islam et en chrétienté, *Revue des études islamiques*, 60- 112.
8. MERCIER E. (1888), *Histoire de l'Afrique septentrionale – Berbèrie* -, Paris, Ernest Leroux éditeur, vol 1.
9. RINN L. M. (1898), Le Royaume d'Alger sous le dernier Day, *Revue africaine*, (42), 290 – 30.

ـ الزيارات الميدانية والمقابلات:

1. زيارة ميدانية إلى موضع بني سكفال في سفح جبال الحلفاء غرب ولاية ميلة، بتاريخ 12 مارس 2019.
2. مقابلة شخصية مع أحد أفراد أسرة بودور التي رحلت من موضع إيكجان القديم إلى قالمة، ببلدية العربي بن مهيدي ولاية الطارف تاريخ التوثيق: يوم 29 أكتوبر 2020.